بشائر عودة الحجاب

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

الرعد (١٧)

أرأيت من ينطح برأسه الصخر، ويشرب بفيه البحر ؟

إنه هذا الذي يتنكر للإسلام، ويسعى في إذاية أهله، وصَدِّهم عن دين ربهم ..

إنه لا يحطم الصخر، ولا يجفف البحر ..

ولكنه يمشي على رأسه إلى القبر ..

السيادة لقانون الله :

علمنا ــ مما تقدم ــ أن السفور حالة طارئة بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً، وبلغت أوجها منذ ثلاثين عاماً، ثم بدأ صعودها البياني في التوقف ثم الهبوط، ولا يزال آخذاً في الهبوط السريع منذ عشر سنوات تقريباً، ويلاحظ الجميع أن المؤشرات كلها تؤكد أن السفور يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وستبقى بإذن الله السيادة لقانون الله وأمره بالحجاب **﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾** التوبة (٤٠).

إن الشارع المصري يخبرنا أنه قد آن الأوان لهذا المرض الطارىء ــ السفور وملحقاته ــ أن ينقشع، وتبرأ منه أمتنا ككل باطل مصيره الهزيمة والاندحار مهما طال الأمد.

فطوبى لمن تنزع عنها غلالة الرجعية الجاهلية وتعود من غربتها واغترابها، وتأتي اليوم وغداً بالحجاب، ومعها العلم والوعي والبصيرة والحرية الحقة من عبودية العبيد، قائلة

لشياطين الإنس الذين يزينون لها معصية الله ورسوله ﷺ :

﴿ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ يونس (١٥)

وجهة نظر صحافي ألماني :

قال الكاتب الألماني هيلمنسدورفر في كتابه : « العبور العظيم ، والروح الجديدة لمصر » :

(لقد عشت في القاهرة كمراسل صحفي من عام ١٩٥٦م حتى عام ١٩٦١م ومنذ هذا التاريخ كانت طبيعة عملي وراء حضوري إلى المنطقة بين الحين والحين ، وكنت أفضل دائماً الإقامة بجوار النيل ، إن التغيير الهائل الذي طرأ على القاهرة عاصمة الملايين ، معروف للجميع ، فقد انتقلت هذه المدينة الضخمة من الطابع الشرقي حيث كانت النساء يرتدين الأحجبة ، والرجال برتدون الطربوش إلى عاصمة كبرى ، ولم تعد الفتيات اللواتي يرتدين البنطلونات والملابس العصرية يلفتن نظر أحد ، أو يقابلن بدهشة واستغراب ، وأصبحت العلاقات بين الجنسين علاقة سوية لا تتخللها رواسب الجاهلية التي استمرت فترات طويلة في الشرق ، ويكفي أن تعلم أنه منذ ٢٠ عاماً فقط كان (٩٠) في المائة من الرجال في القاهرة يرتدون الجلباب ، وكانت كل النساء تقريبا يرتدين الحجاب ، أما اليوم ، فإن القاعدة العامة هي إرتداء البدل العصرية وعلى أحدث موضة في الغرب ، وبالنسبة للنساء فإنه حتى في أكثر المناطق شعبية لم نعد نرى الحجاب)[٤٤٥] اهـ .

لقد فرح ذلك الصحافي الألماني .. ولم يكن يدري أنها فرحة .. لن تتم ، فتلك طبيعة هذه الدعوة ، وتلك سنة الله في خلقه ... أن دولة الباطل ساعة ... ودولة الحق إلى قيام الساعة ، بل لعله فرح لأنه لم يبلغه رأى أخيه (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي منذ سنوات مضت :

---

(٤٤٥) نقلاً عن ترجمة الكتاب المنشورة في جريدة الأهرام بتاريخ ١/١٠/١٩٨٢ .

أقـــوى من فرنســـا :

ففي ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر، وقف الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول :

« يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم »[٤٤٦] ..

وبعد ذلك بسنوات قلائل :

(قامت فرنسا ـــ من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر ـــ بتجربة عملية، فتم انتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً.

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دُعِي إليها الوزراء، والمفكرون والصحافيون ..

ولما ابتدأت الحفلة، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: « ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً ؟!

أجاب « لاكوست »، وزير المستعمرات الفرنسي:

« وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟!)[٤٤٧] .

---

(٤٤٦) المنار عدد ١٩٦٢/١١/٩.

(٤٤٧) جريدة الأيام عدد ٧٧٨٠ ـــ بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٢.

رجع الصدى .. وترديد الببغاوات :

قالوا : إن العودة إلى الحجاب عودة إلى الجاهلية الأولى ..

وقالوا : إن الحجاب لا يصلح إلا في مجتمع قبلي جاهلي ..

وقالوا : إن الحجاب تقليد من التقاليد البالية العتيقة ..

وقالوا : إن الحجاب تطرف وتنطع يأباه الإسلام ..

وراحوا يبحثون عن علة هذه الظاهرة فمن قائل: إنه اكتئاب حط على القلوب الشابة حتى لجأن إلى الحجاب يتوارين فيه .

ومن قائل : بل هو تطرف مفاجىء نتج عن الفراغ السياسي والعاطفي عقب النكسة .

العودة إلى الحجاب .. عودة إلى الله

لقد فعلوا ــ كما تقدم آنفاً ــ شتى الحيل ليصدوا المسلمة عن دينها ، ويوقعوها في شِراكهم ، ويذبحوا على أعتاب جامعاتهم ومصانعهم ومتاجرهم حياءها قرباناً لأغراضهم ، وقد استجاب لهم كثيرات وكثيرات .

ولكن لم تعدم أمتنا من يقمن الحجة على هؤلاء الكثيرات ، ويحيين السنة المطهرة ، فخرج من بينهن فتيات عفيفات طاهرات يهتفن من أعماق سويدائهن بنداء صارم بدَّد أطماع الأعداء ، فردهم خاسئين :

(رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً) ،

وبعائشة الصديقة بنت الصديق ، وفاطمة الزهراء ، وأسماء ذات النطاقين ، والخنساء أسوة وقدوة ، لعلنا نحشر في زمرتهن يوم القيامة قال ﷺ : « المرء مع من أحب »[٤٤٨] .

---

(٤٤٨) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه .

وإذا بالفتيات المسلمات في كل مكان تهوي قلوبهن لهذا النداء العزيز ، وتنضم الواحدة تلو الأخرى إلى موكب العفاف والفضيلة ، بعد أن تهجر الفسق والرذيلة ..

﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ الإسراء (٨١)

وأني لباطل أعداء الإسلام أن يصبر أمام الحجة والبرهان ؟ إن باطلهم ظلام ، وحجتنا نور وبرهان ، وأني تصبر جيوش الظلام أمام جحافل الحق ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ الأنبياء (١٨) .

إن الرد على دعاوي المبطلين قريب ، وأقوى ردٍّ هو تخلي المرأة المسلمة عن هؤلاء ، بعد أن انخدعت بهم زمناً طويلاً ، وخلعت الحجاب ، وخالطت الرجال ، وذاقت ويلات جاهلية القرن العشرين ، وجرت في دروب التقدميين والاشتراكيين طويلاً ، فما وجدت عندهم إلا الشقاء والضنك ، فعادت المسلمات ـــ زرافات ووحداناً ـــ مستغفرات تائبات ، خاشعات قانتات ، مالهن هِجِّيرَى سوى .

﴿ **سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ البقرة (٢٨٥) .

ياأعداء الإسلام ! موتوا بغيظكم :

لقد اغتاظ أدعياء التحرر ، وصارت (عودة الحجاب) غصة في حلوقهم ، فراحوا يتابعون هذه الظاهرة في حسرة وقلق(٤٤٩) .

---

(٤٤٩) حتى أنهم اعترفوا بهزيمتهم في « المعركة الحقيقية » ، وعللوا ذلك بأن الفتيات يتحجبن عن اقتناع كامل ، متحدياتٍ كلَّ ما وضع في طريقهن من العراقيل والضغوط ، حتى صار الحجاب في عرف القوم حَرِيًّا بوصف « الظاهرة » ، ومن هنا كان هذا الإقرار الواضح والاعتراف الصريح وثيقة إدانة لكل الذين يصرون على فرض التبرج والسفور بالقهر ، زاعمين في الوقت نفسه احترام ما يسمى بـ « الحرية الشخصية » و « حرية الرأى » .

الصنم الذي تحطم :

كتبت جريدة الأهرام بتاريخ (٧٧/٤/٢٩) تقول :

(أمس مر « ٧١ » عاماً على وفاة « قاسم أمين » محرر المرأة الذي دعا إلى تحرير المرأة، ورفع الحجاب) ثم يقول الكاتب مغتاظاً متحسِّراً متأسفاً :

(الغريب أنه بعد مرور « ٧١ » سنة على وفاته ــ وفي نفس الوقت الذي نحتفل فيه بذكراه ــ تقوم الدعوة إلى رجوع المرأة إلى البيت، وحجبها عن المشاركة في الحياة العامة) اهـ .

الإسلام يعود من الجامعة :

وهذا الصحافي (مصطفى أمين) يقلقه انتشار المد الإسلامي بين الفتيات في مصر، خاصة في الجامعات وبين أعلى الطبقات ثقافة فيقول :

(حاربِ الأحرار في هذا البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بها إلى الوراء، وقد يحدث هذا في أى مكان، لكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر)[٤٥٠] اهـ .

ذهب مع الريح :

وقال أحدهم في « صباح الخير » وقد تلقي بعض الردود المفحمة من فتيات محجبات عن آرائهن في ما يسمى (الحب)، فلم ترقه إجاباتهن :

(أي جامعة هذه ؟ وأى طالبات جامعيات هؤلاء في النصف الثاني من القرن العشرين ؟! حيث المرأة مساوية للرجل، وتصعد إلى الفضاء، إن كل ما يفعله المجتمع، وكل ما تفعله الحكومة، من تعليم البنت وتشغيلها، وما تفعله زعيمات النشاط النسائي

---

(٤٥٠) (أخبار اليوم) ٥ نوفمبر ١٩٧٧م .

في مصر لتأكيد هذه المساواة، وتربية المرأة المصرية على الخروج على عقلية الحريم، تهدمه مثل هذه الأساليب في التربية والرعاية في المدن الجامعية للطلاب)[٤٥١] اهـ.

لا .. لجيل « هدى شعراوي » :

وجاء في مجلة أكتوبر عدد (٢٢) : نشرت صحيفة « كريستيان مونتيور » بحثاً عن الإنجازات التي حققتها المرأة المصرية في ميادين العلم والدراسات الاجتماعية، وقالت الصحيفة : (شيء غريب في مصر، لقد كانت الأمهات من جيل « هدى شعراوي » أكثر تحرراً وتقدماً من بعض الفتيات في مصر الآن .. الفتيات المحجبات والمتشددات ! ومعنى ذلك أن « هدى شعراوي » وجيلها كن أكثر تحرراً وتطوراً من فتيات اليوم، بنات وحفيدات « هدى شعراوي ») اهـ.

وهذه جريدة « الأهالي » الشيوعية تتابع الظاهرة في قلق وغيظ، وتفرد لها بحثاً جاء في أثنائه على لسان « د. زينب رضوان » قولها : (انتشر الحجاب بين الطبقة المثقفة قبل العوام، وهذا على عكس ما هو متعارف عليه، ونفس هذه الطبقة المثقفة هي التي رفضت الحجاب في زمن « هدى شعراوي »، وخلعته، وداسته[٤٥٢]، وهي ذاتها التي عادت تنادي به، وبالعودة إلى الأصالة بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى من المحجبات من الطبقة الوسطى وهي الطبقة التي تقود التغيير في أي مجتمع، صحيح أنه انتشر أيضاً بين الطبقة الأرستقراطية ولكن بنسبة أقل)[٤٥٣] اهـ.

وهذه (أمينة السعيد) تصف الحجاب بأنه ثياب ممجوجة، وتقول وقد ملأتها الحسرة : (فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها زي

---

(٤٥١) (صباح الخير) ١٦ يناير ١٩٧٥م.

(٤٥٢) أقول : بل وأحرقته، بأن سكبت عليه البترول، وأشعلت فيه النار، وذلك في ميدان الإسماعيلية (التحرير فيما بعد) ــ انظر : « واقعنا المعاصر » للأستاذ « محمد قطب » ص(٢٥٨).

(٤٥٣) (الأهالي) تاريخ ١٩٨٣/١٠/٥ الصفحة الثالثة.

اسلامي لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقياً معقولًا لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء ›[٤٥٤]

عـاد الحجـاب :

وكتبت « مني رمضان » في (أكتوبر) :

(عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات في مصر ، وهذه ليست آخر صيحة في عالم الموضة ، كما قد يتبادر إلى الذهن ، ولكنه نوع من الحشمة ، و « إحياء » التقاليد الإسلامية التي تطلب من النساء أن « يدنين عليهن من جلابيبهن » ، والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة ، وعلى أساسها فصلت هذه الثياب) اهـ .

سلفيـات .. لا مرتدات :

حقاً إنهم حائرون .. وهذا فيلسوفهم الهرم (زكي نجيب محمود) يتباكي على « تبرج الجاهلية » الذي انقشع أمام الصحوة الإسلامية ، فيقول :

(أصابت المرأة المصرية في أيامنا هذه نكسة ، ارتدت بها إلى ماقبل .. هناك اليوم عشرات الألوف من النساء المرتدَّات ينزلقن تطوعاً إلى هوة الماضي .. والمأساة أن المرأة اليوم تتبرع سلفاً بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج .

إن أبشع جوانب الردة في حياة المرأة المصرية ليس أن أحداً يتدخل في شئون حياتها ، ليس هو أنها تريد أن تتعلم إلى آخر المدى فيمنعها أحد ، لأن أحداً لا يمنعها من ذلك ، وليس هو أنها تريد أن تعمل بما تعلمته فيمنعها أحد ، لأن أحداً لايقفل في وجهها أبواب العمل ، وإنما الجانب البشع من تلك الردة هو أن المرأة اليوم تريد أن

---

(٤٥٤) (حواء) (١٨ نوفمبر ١٩٧٢م) .

تجعل من نفسها ــ وبمحض اختيارها ــ حريماً يتحجب وراء الجدران أو يتستر وراء حجب وبراقع)[٤٥٥].

ثم يصف زمن السفور متحسراً عليه قائلاً : (ذلك زمن أوشك على الذهاب مع رائدات الجيل الماضي)، ويستطرد قائلاً :

(إن في طائفة كبيرة من نساء هذا الجيل وبناته نكوصاً على الأعقاب بالقياس إلى الطموح الذي تميزت به أمهاتهن في الجيل الماضي، وإنها لمفارقة شديدة في أي مجتمع، أن ترى الجيل الأصغر منه سلفياً بدرجة تزيد على الحد المألوف، وترى الجيل الأكبر منه أقل سلفية ..

وبينما الشباب الثائر في البلاد الأخرى كان يحتج على أوضاع الحياة الراهنة، رأينا ثورة شبابنا تحتج هي الأخرى على أوضاع الحياة الراهنة، وتدعو إلى العودة بها إلى نموذج السلف)[٤٥٦].

وفي فرنسا أيضاً قلقون :

فقد كان أول سؤال وجهته الصحافية الفرنسية « كاتي برين » إلى « سيدة مصر الأولى والأخيرة » : (انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر فما رأى السيدة « جيهان » في هذه الظاهرة ؟) فتجيب ــ وكأنه أسقط في يدها أمام قوة انتشار هذه الظاهرة : (في نظري أن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات، فهم سبب في انتشار تلك الظاهرة، فإذا قام أستاذ واحد بطرد فتاة واحدة من محاضراته، مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب ...) اهـ.

---

(٤٥٥) (الأهرام) (٨٤/٤/٩) ص(١٣) .

(٤٥٦) (الأهرام) (٨٤/٥/٧) ص(١٣) .

أمريكا وإسرائيل تحذران الغرب :

« الإسلام قادم ، ونحن على خطر عظيم » :

فى مقال عن قلق أمريكا وإسرائيل من الصحوة الإسلامية كتبت صحيفة « فورتشن » تقول : (إنه حتى فى الجامعات العبرية فى إسرائيل ، بدأ الطلاب العرب المسلمون يُبدون اهتمامًا متزايدًا بالعودة إلى دينهم ، وبدأوا يمارسون ضغوطًا على السلطات اليهودية للسماح بفتح كليات للثقافة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية ، فى الجامعات اليهودية ، كما بدأ العديد منهم يطلقون لحاهم ، ويؤدون العبادات الإسلامية ، فى الجامعات اليهودية ، فى حين بدأت الفتيات المسلمات فى ارتداء الزى الإسلامى الشرعى)(٤٥٧) .

« عسى أن يكون قريبًا »

وفى مقال آخر تقول الصحيفة نفسها : (إن الاتجاه الدينى فى مصر يرسِّخ أقدامه يومًا بعد يوم ، فالشباب المصرى مفتون بالصحوة الإسلامية الثورية ، كما أن الفتيات المصريات يبدين اهتمامًا متزايدًا بالإسلام ، وفى جامعة القاهرة يزيد عدد الطالبات الملتزمات بالزى الشرعى ، وقد يأتى يوم لا تبقى فيه طالبة مصرية واحدة ، إلا وقد ارتدت الزى الشرعى الإسلامى)(٤٥٨) اهـ .

المعركـة مستمـرة :

أعداء الحق فى كل عصر على وتيرة واحدة ، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشئون ، وعلى المسلمة الصادقة أن توقن أن المعركة بين الحجاب والسفور ، بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر ، لا تنقطع ، فإن التاريخ يعيد نفسه ، وإن هذه سنة الله في خلقه ﴿ **ولن تجد لسنة الله تحويلًا** ﴾ **فاطر (٤٣)** .

ألا إنما الأيـام أبنـاء واحـدٍ   وهذي الليـالي كلها أخـوات
فلا تطلبن من عند يومٍ ولا غدٍ   خلافَ الذى مرت به السنوات

---

(٤٥٧) نقلًا عن صحيفة « القبس » الكويتية ، عدد (٣٠/ ٦/ ٨٦) .
(٤٥٨) المصدر السابق ، عدد (٨/ ٧/ ١٩٧٩)

قال تعالى :

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[٤٥٩] التوبة (٧٣) .

وعن كعب بن مالك مرفوعًا : « اهجوا بالشعر ، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله ، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحوهم بالنبل »[٤٦٠] .

فيا كتائب الحق في كل مكان :

جردوا أسنة العزائم والرد ، واستعينوا على رد الباطل بالواحد الفرد ، اكشفوا ما في مناهجهم من المؤاخذات ، وبينوا ما فيها من الخطأ والغلطات ، ليظهر جهل أعداء الحق وفساد أقوالهم للناظرين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .. فتالله ما بارز جنودَ الحق قَطُّ قِرْنٌ إلا كسروا قَرْنَهُ ، فقرع من ندمٍ سِنةً ، ولا ناحرهم خصم إلا بشروه بسوء منقلبه وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه .

فاللهم من أراد الإسلام وأهله بسوء ، فاردد عليه دائرة السوء ، ورُدَّ كيده في نحره ، واجعل تدبيره في تدميره — اللهم اغفر لجامعة ولوالديه ، و ﴿ وارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ ، ولإخوانه في الله ، ولمن نظر فيه فدعا له بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، إنك مجيب الدعوات ، وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله القسم التاريخي من « عودة الحجاب » ويليه بإذن الله القسم الخاص بمكانة المرأة وموضوعه :

المـرأة
بين تكريم الإسلام
وإهانة الجاهلية

الإسكندرية في
السبت ١٢ من ربيع الثاني ١٤٠٤هـ
الموافق ١٧ من ديسمبر ١٩٨٣م

---

(٤٥٩) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية : (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة ، (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعًا ، ولا تحابهم ، وكل من وُقِفَ منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه ؛ يُجاهَدُ بالحجة ، وتُستعمَلُ معه الغلظة ما أمكن) اهـ من « الكشاف » (١/ ٥١٦)

(٤٦٠) رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وحسّنه الألباني